موقف مجلس العلماء الإندونيسي من أفكار الاستشراق وتأثيرها على المجتمع الإسلامي بإندونيسيا

دكتور/ رمضانى*

تمهيد

إن مما لا جدال فيه أن الاستشراق له أثر كبير في العالم الغربي وفي العالم الإسلامي على السواء. ولا يكاد في عالمنا الإسلامي المعاصر يجد مجلة أو صحيفة أو كتابا إلا وفيها ذكر او إشارة إلى شيء عن الاستشراق، وهذا ليس أمراً مستغرباً وذلك لأن الاستشراق في حقيقة الأمر من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه من قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري . فقد كان للاستشراق من غير شك له أثر كبير في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة.

والاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء في عالمنا الإسلامي، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا ويلعن كل مشتغل به بوصفه عدوا لدودا للإسلام والمسلمين.

والواقع الذي لا يمكن إنكاره أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامى الحديث إيجابا أو سلبا أردنا أم لم نرد. ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة، إننا لو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال.

ومن أجل ذلك أريد أن أحدثكم اليوم عن أفكار المستشرقين وتأثرها على المجتمع الإسلامي بأندونيسيا في موضوعية هادئة. ولن نستطيع بطبيعة الحال في محاضرة كهذه أن نوفي هذا الموضوع حقه من البحث ونستوفي الحديث عن كل جوانبه، ولكن حسبنا أن نلقي بعض الضوء على بعض النقاط المهمة، لعل ذلك يكون حافزا لنا على التفكير والتأمل في هذا الموضوع .

---

* محاضر في جامعة جاكرتا الحكومية ــ شعبة اللغة العربية وآدابها كلية اللغات والفنون ــ اندونيسيا.

تاريخ الاستشراق بأندونيسيا

ترجع البدايات الأولى للاستشراق لدى بعض الباحثين إلى مطلع القرن الحادي عشر. ويرى المستشرق الألماني المعاصر رودى بارت أن بداية الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر . وعلى أية حال فان الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق الذي دار بين العالم الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته. وقد نشط المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة ، وأن محمدا ليس إلا صنما أو إله قبيلة أو شيطانا، وغدت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتينيين . ولم يكن الهدف بطبيعة الحال هو عرض صورة موضوعية عن الإسلام.

وفي مقابل تلك الصورة البغيضة للإسلام كانت هناك جهود أخرى للوصول إلى قدر من الموضوعية في مجال العلوم العربية مثل الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية. يقول " ميكسوم رودنسون " عن تلك الفترة : " ولا يصادف المرء موقفا موضوعيا إلا في مجال مختلف تماما لايمت إلى الدين الإسلامي إلا بصلة بعيدة وأعنى العلم بأوسع معانيه ".وقد أخطأ هنا في جعله العلم لايمت إلى الإسلام إلا بصلة بعيدة . فقد كان الإسلام في واقع الأمر وراء كل إنجاز علمي حققه المسلمون في مختلف المجالات".[٣]

وبدأ من عام ١١٣٠ م كان العلماء المسيحيون في أوروبا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية في الفلسفة والعلوم، وكان لرئيس أساقفة كليلة الفضل في إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العربية بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث العالم الكلاسيكي. وكانت هناك في القرن الثاني عشر أيضا بعض المحاولات للتعرف على الإسلام بفجر من الموضوعية ولكن مع الهدف الواضح والمعلن وهو محاربة الإسلامية الإلحادية. ومن أجل ذلك قام بطرس الموقر ١١٥٦م رئيس رهبان كلوني بتشكيل جماعة من المترجمين في أسبانيا يعملون كفريق واحد من أجل الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الإسلامي. وفي تلك الفترة ظهرت أول ترجمة للقران عام ١١٤٣م قام بها الإنجليزي " روبرت أوف كيتون " .[٤]

وهكذا نجد أنه قد كان هناك في هذه الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالمواقف والأهداف إزاء الإسلام . أما الاتجاهات الأول فقد كان اتجاها لاهوتيا متطرفا في

جدله العقيم. ناظرا إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية . أما الاتجاه الثاني فقد كان نسبيا بالمقارنة إلى الاتجاه الأول أقرب إلى الموضوعية والعلمية، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعة والطب والفلسفة. ولكن الاتجاه الخرافي ظل حيا حتى القرن السابع عشر وما بعده ، وما يزال هذا الاتجاه للأسف حيا في العصر الحاضر في كتابات بعض المستشرقين عن الإسلام ونبيه.

والأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولة تنصير المسلمين أن تؤتى ثمارها بنجاح . وقد كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دوره في استخدام فئة من المستشرقين للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية في بلاد المسلمين عن طريق دراستهم الموجهة إلى خدمة الاستعمار. كما استعمر الهولندي أندونيسيا إلى ثلاثة ونصف قرون .

يخدم المستشرقون أهدافهم التي وضعوها لأنفسهم بإخلاص تام لهذه الأهداف إلى أقصى حد ممكن وبكل الوسائل. وعند ما أراد المستشرق الهولندي سنوك هورجرونيه أن يكتب كتابا عن مكة لم يثنه عن عزمه لدراسة مكة على الطبيعة أنه مسيحي لا يجوز له أن يدخل مكة، فانتحل اسما إسلاميا هو عبد الغفار ، وزار مكة عام ١٨٨٤ م وأقام هناك مدة خمسة أشهر، وكان يجيد العربية كأحد أبنائها. وبعد هذه الرحلة كتب عن مكة كتابين أولهما : الحج إلى مكة، وثانيها مكة وجغرافيتها في القرن التاسع عشر – في جزأين – وصف فيه مكة وصفا دقيقا شاملا مع خرائط عديدة .[٥]

وبدءا من عام ١٨٨٩ م درس هذا المستشرق عادات وتقاليد أهل جاوى وأتشيه بأندونيسيا للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية الهولندية بأندونيسيا في إضعاف القيم الإسلامية وتمجيد القيم الغربية المسيحية .[٦]

وإذا كانت غزوة بونابرت لمصر قد مثلت بداية الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لوطن العروبة – قلب العالم الإسلامي – بعد أن التف هذا الاستعمار حول هذا العالم – عبر أربعة قرون ؟! فان هذه الغزوة قد تميزت عن سابقتها الصليبية باستهدافها احتلال العقل، واستبدال الفكر، وتغيير الهوية – مع احتلال الأرض ونهب الثروة واستبعاد الإنسان.[٧]

وفي كل موقع من بلاد الإسلام قامت فيه للاستعمار الغربي سلطة ودولة، أخذ هذا الاستعمار – شيئا فشيئا يحل النزعة العلمانية في تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل " الإسلامية " ويزرع القانون الوضعي العلماني حيثما يقتلع شريعة الإسلام وفقه معاملاتها.....

ففي أندونيسيا أخذ الاستعمار الهولندي إحلال القانون الوضعي العلماني محل الشريعة الإسلامية وقانونها. ومع القانون العلماني الوضعي، الذي لا يضبط "المنفعة " بالشرع ولا يحكم حقوق الإنسان بحقوق الله وحدوده – جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام بمفهوم الإنسانية المتحرر من الضوابط الشرعية، والمؤسس على أن الإنسان هو سيد العالم ومرجع التدبير للعمران، وليس على المفهوم الإسلامي للاستخلاف والذي يضبط حرية الخليقة بالشريعة الإلهية، التي هي معالم التدبير الإلهي للاجتماع الإنساني، وفيها بنود وعهد الاستخلاف الإلهي للإنسان، وعن هذا المفهوم العلماني للحرية الذي يقضي بعبارة عبد ا لله النديم : " بعدم تعرض أحد لأحد في أموره الخاصة " يقول النديم في نقده وفي بيان بديله الإسلامي : " إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق، والوقوف عند الحدود، وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع إلى البهيمة وخروج عن حد الإنسانية....أنها حرية مدنية ينفر منها البهيم... ولئن كان ذلك سائغا في أوربا ، فان لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيئية، وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم ، وهى لا توافق عوائد أهل الشرق ولا أديانهم ، والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الآمة من عسر أن يجنى أو يغرى بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عندها".[8]

دوافع الاستشراق

١. الدافع الديني: فقد رأينا بالرهبان كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار. وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفك دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي. ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين

وأخذت تشككهم بكل التعلم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة.

وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوربا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكر لأهله. فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية.

وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساقم العلمية وهم قبل كل شيء رجال الدين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

٢. الدافع الاستعماري : لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية لم ييأس الغربيون من لعودة إلى بلاد العرب فبلاد الإسلام. فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وتراث، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموه. ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا وبث الوهن والإرتكاك في تفكيرنا، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارقم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.

أنظر أليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفي عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوحدت لغتهم وعقيدقم وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما يرجوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والعشورية في العراق وهكذا ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعرفوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقائنا مع خوفنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك ومصالح المشتركة.

٣. الدافع التجاري : ومن الدوافع التي كان أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد المسلمين.

٤. الدافع السياسي : وهنالك دافع أخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال الدول الإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الإسلامية لدى هذه الدور سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسية فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من اللغة حاجات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذه الاتصال أثره الخاطر في الماضي حين كان السفراء الغربيون – ولا يزالون في بعض بلاد الإسلامية – يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول الإسلامية بعضها من بعض، بحجة توجيه النص وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسئولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.

٥. الدافع العلمي : ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها وحضاراتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا اقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم كانوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين ، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته، على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.[٩]

أهداف الاستشراق ووسائله

تنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام :

١. أهدف علمي مشبوه، ويهدف إلى :

أ. التشكيك برسالة صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله جل شأنه، ويتخاطبون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانا، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حينا بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى التخيلات كانت تملأ ذهن النبي، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأنا من محمد صلى الله عليه وسلم في التاريخ والتاثير والمبادئ التي نادي بها، كان إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم رهباناً وقسساً مبشرين.

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتابا منزلا عليه من عند الله عز وجل، وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يزعمون ماز عمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخاطبون في ذلك تخبطا عجيبا، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتنكشف إلا في هذا العصر، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه.

ب. ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم سماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله وإنما هو ملفق – عندهم – من الدينان اليهودية و المسيحية، وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي وإنما هو ادعاءات تستند على بعض النقاط الالتقاء بين الإسلام والدينين السابقين.

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهود وتأثيرها فيه. أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى إذ ليس في

المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به وأخذه منه، وإنما فيه مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام ودخلت عليه منها، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادئها الأخلاقية، وكأن الذي أوحي بدين هو غير الذي أوحي بدين آخر، فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ج. التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري، مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معاشره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم، وقد ناقشتهم في ذلك نقاشا علميا في كتابي : (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) الذي صدر حديثا.

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية وهم لا يعتقدون بنوة الرسول، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول، ومنها ينبعث كل تخبطاهم وأوهامهم.

د. التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، لقد سقط في أيديهم حين حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول، فلم يجدوا بدا من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني، أي أنه مستمد منهم – الغربيين – وقد بين علماؤنا الباحثون تهافت هذه الدعوى، وفيها قرره مؤتمر القانون المقارن بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقبل بذاته وليس مستمدا من أي فقه آخر، ما يفحم المتعنتين منهم، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا.

ه.التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، لنظل عالة على مصطلحات العربية التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وإظهاره مجدبا فقيرا لنتجه إلى آدابهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع

الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه. تلك هي الأهداف العلمية التي يعمل لها أكثرهم أو جمهرقم الساحقة.

ب .الأهداف الديني والسياسة

وتتلخص فيما يلي :

١- تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم، ففي ذلك هدفان ديني واستعماري.

٢- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب المسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها، لم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري، وكان في حضارتهم كل النقائص، وإذا تحدثوا بشيء عن حسناتها – وقليلا ما يفعلون – يذكرونها على مضض مع انتقاص كبير.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأنه عليهم، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم، فيكونوا عبيدا، يجريهم حبها إلى حبهم أو إضعاف روح المقاومة في نفوسهم.

٤- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التى كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنزعات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصيد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخا جديدا يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها.

ج. أهداف علمية خالصة

لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جدا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون

مجتمعاقم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء.

ولهذا الفئة أسلم الفئات الثلاثة في أهدافها، وأقلها خطرا، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنتا من أصحاب الهدفين السابقين، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجامل المسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتاب العظيم (الدعوة إلى الإسلام) فقد برهن على تسامع المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام.[10]

أفكار الاستشراق وأثرها على المجتمع الإسلامي بأندونيسيا

إن مما لاشك فيه أن الاستشراق والعلمانية والتبشير والاستعمار على حد سواء.....فكل هذه الفئات متعاونة متضافرة لغزو بلاد الإسلام، وإخراج المسلم من الإسلام ، وإدخاله في النصرانية بل هذه الفئات منبثقة من الصليبية لأدائها مهمتها في التضليل والقيام بمسؤوليتها في التنصير، بل هذه الفئات هي الصليبية ذاتها، وجدت في العصر الحديث لتتخذ أسماء ومسميات وأساليب ....ظاهرها الرحمة، ومن باطنها من قبلها العذاب – ويا للأسف في أندونيسيا، ومازالت تعمل للوصول هدفها للخبيث وتنفيذ حقدها الدفين.

كما سبق ذكره أن من أهداف ووسائل الاستشراقية استخدام العملاء في الداخل هو أدهى وأمر، بل أعظم وأخطر لآن هم العملاء هم على الغالب من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا والبعض منهم ينتمي إلى إسلامنا، وأحيانا يتقمصون ثوب الإسلام و والوطنية ليضللوا المسلمين بأفكارهم ودعواقم الضالة الزائفة .

ولا شك أن للاستشراق عناصرها التي تعمل و أساليبها التي تتنوع ومبادئها التي تغلغل، ومنظمتها التي تتجدد، وإمداداقا المادية الخارجية التي تستمر، وتنفيذها لأوامر الأسياد التي تصدر.

هم العملاء الذين باعوا أنفسهم للشيطان متمركزين في الوزارات، في وسائل الإعلام، في أجهزة التعليم، في النقابات، في المؤسسات و في كل مكان. ووسائلهم في بث الفساد والتضليل والإلحاد ....كثيرة متنوعة : في الصحف تارة في البث الإذاعي أخرى، في التمثيليات التلفزيونية،

في الندوات والمراكز العلمية والثقافية مرة.عدا عن الدس في المناهج والكتب وأجهزة التعليم والجامعات.

واليكم أفكار الاستشراق بأندونيسيا، منها :

١. التحريف في آيات الميراث

يرفض وزير الدينية السابق منور شذالى آيات الميراث يرفض حكم ا لله في قوله تعالى : يوصيكم ا لله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء ١١) ويقول : هذا حكم انتهى وقته ، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادي. أما المرأة الآن وقد تعلمت وعملت فما عاد هذا الحكم قائما !

٢. التحريف في آيات الحجاب ومعنى لا إله إلا ا لله

يترجم نور خالص ماجد المتوفى سنة ٢٠٠٥هو من أحد رؤساء العلمانيين أن معنى الحجاب: ثوب كبير ورمز ديني تستعمله نساء العربيات للظروف البيئية .وادعى أنه لا يأمر زوجته وبناته أن يلبسن الحجاب. ويترجم معنى لا إله إلا الله : لا ربا صغيرا إلا رب كبير.

٣. التحريف في آيات أهل الكتاب

يرى نور خالص ماجد أن أهل الكتاب لا ينحصر على اليهودية والنصرانية فقط بل له معنى أوسع تشمل الصينية والبوذية والهندوكية والمجوسية ، وجاز للمسلم أن يتزوج بهن ويتوارث بها.

٤. يرى رئيس الجمهورية السابق عبد الرحمن واحد : يجوز لنا أن نبدل تحية الإسلام بألفاظ التى تتناسب على البيئة المحلية : صباح الخير ، نهارك سعيد ، مساء النور.

٥. يؤيد عبد الرحمن واحد عن وجود فرقة الأحمدية الضالة والمضلة لأنها من حرية حقوق الإنسان.

٦. ترفض جمعية تحرير المرأة بأندونيسيا تعدد الزوجات لأنها إهانة واستهزاء وظلم للنساء.

٧. ترفض جمعية شبكة الليبرالى الإسلامي بأندونيسيا تطبيق الشريعة الإسلامية لأنها لا تتناسب البيئة ومختلفي الأديان فى أندونيسيا .

٨. أجازت شبكة الليبرالى الإسلامي بأندونيسيا الدعاء الجماعي بين مختلفي الأديان والتهنئة بعيد الميلاد المسيح للنصرانى لأنها من التسامح .

٩. نشرت جمعية شبكة الليبرالى الإسلامي بأندونيسا أفكار التعددية فى الدين بأن الأديان كلها سواء.

١٠.اقمت جمعية شبكة الليبرالى الإسلامي بأندونيسيا إن أبا هريرة رجل كذاب وكسلان ويروى الأحاديث ما لا يسمعه من رسول ا لله عليه الصلاة والسلام

موقفنا و مجلس العلماء الأندونيسي من أفكار الاستشراق

١. لمحة عامّة عن مجلس العلماء الإندونيسيّ[١١]

إنّ مجلس العلماء الإندونيسيّ وعاء أو مجلس يضمّ العلماء والزعماء والمثقّفين الإسلاميّين الأندونيسيّي التوحيد الصف وخطوات المجتمع الإسلاميّ الإندونيسيّ في سبيل تحقيق الغاية المشتركة المنشودة . وقد تأسّس مجلس العلماء الإندونيسيّ في السابع من شهر رجب ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٩٧٥، نتيجة اجتماع أو مشاورة بين العلماء والمثقفين والزعماء من مختلف أنحاء أندونيسيا . منهم ستّة وعشرون عالما يمثّلون ستّا وعشرين محافظة، وعشرة من علماء الجمعيّات الإسلاميّة في إداراتها المركزيّة وهي جمعيّة نهضة العلماء والجمعيّة المحمّديّة والشركة الإسلاميّة واتحاد التربية الإسلاميّة والجمعية الوصليّة وجمعيّة مطلع الأنوار و GUPPI و PTDI والمجلس الإندونيسيّ للمساجد و جمعيّة الاتحاديّة وأربعة علماء من مصلحة الحياة الروحيّة الإسلاميّة في كلّ من القوات البرّيّة والقوّات البحريّة والقوّات الجوّيّة والشرطة الإندونيسيّة وثلاثة عشر شخصا من أفراد الشخصيّات والمثقّفين الإسلاميّين .

وقد توصّلت هذه المشاورة إلى اتفاقيّة لتشكيل وعاء للتشاور بين العلماء والزعماء والمثقّفين الإسلاميّين ، أُفْرِغَتْ في " وثيقة تأسيس مجلس العلماء الإندونيسيّ" ، وعليها توقيعات من المشتركين في المشاورة التي تسمى لاحقا بالمشاورة الوطنيّة الأولى للعلماء. وقد صادفت مناسبة تأسيس مجلس العلماء الإندونيسيّ مرحلة نهضة الشعب الإندونيسيّ بعد ثلاثين عاما من استقلاله ، حيث استغرقت هذه الفترة جميع الطاقات والفعاليّات في الكفاح السياسيّ الطائفيّ مما أدّى إلى عدم المبالاة بقضيّة تحسين مستوى الحياة الروحيّة للأمّة . والعلماء الإندونيسيّون على

وعي بأنّهم ورثة (وظائف) الأنبياء ، فهم مدعوّون للمشاركة في بناء المجتمع عبر مجلس العلماء الإندونيسيّ كما شارك سلفهم العلماء في عهد الاحتلال والنضال من أجل الاستقلال . ومن ناحية أخرى ، فإنّ المجتمع الإسلاميّ الإندونيسيّ يواجه التحدّيات العالميّة الثقيلة . فَتَقَدُّمُ العلومِ والتكنولوجيا قد يزعزع حدود الأخلاق والقيم ، كما أنّ الثقافة العالميّة التي يهيمن عليها الغرب والتي تتميز بتأليه النفس والأموال والشهوات قادرة على هدم جوانب تدين المجتمع واستخفاف بدور الدين في حياة الإنسان. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعدّد المسلمين واختلافهم في أمور الدين ومنظماتهم الاجتماعيّة ومذاهبهم الفقهيّة والسياسيّة، يمثّل نقاط قوّة من ناحية، وإن كانت في الوقت نفسه يمثّل نقاط ضعف ومصادر انشقاق فيما بينهم يؤدي إلى سقوطهم في الأنانية الحزبيّة والتعصّب المذهبيّ وإلى ضياع الفرص أمامهم لتطوير أنفسهم ليصبحوا أمّة لا تكون ضخمة في العدد فحسب وإنما أيضا متميّزة في النوعيّة. ولذلك فإن وجود مجلس العلماء الإندونيسيّ يُحْتَاجُ إليه ليمثّل القيادة الجماعيّة الإسلامية تحقيقا للتواصل والتزاور، من أجل وحدة الأمة الإسلامية وتعاونهم.

وفي مسيرته لمدة خمسة وعشرين عاما ، فإنّ مجلس العلماء الإندونيسيّ بوصفه ساحة للتشاور بين العلماء والزعماء والمثقّفين الإسلاميّين قد حاول جهده لإعطاء الإرشادات والتوجيهات للأمة الإسلاميّة في تحقيق الحياة الدينيّة والاجتماعيّة التي يرضاها الله تعالى ، كما يصدر نصائحه وفتاواه بشأن القضايا الدينيّة والاجتماعيّة للحكومة والمجتمع . والمجلس يقوم كذلك بتكثيف نشاطاته لتحقيق الأخوّة الإسلاميّة والتعايش السلميّ بين أتباع الديانات المختلفة توطيدا لوحدة الشعب ، ويكون المجلس أيضا وسيطا بين العلماء والأمراء واللسان الموضّح لطموحات الأمّة على الحكومة والمبيّن لسياسات الحكومة للأمّة من أجل إنجاح التنمية الوطنيّة . والمجلس كذلك يوثّق العلاقة والتعاون بين الجمعيّات والمؤسّسات الإسلاميّة والمثقّفين الإسلاميّين في إرشاد المجتمع وتوجيههم ، وذلك بقبوله الاستشارات وتسهيل تبادل المعلومات بين الطرفين .

وإلى الوقت الحاليّ ، أقام مجلس العلماء الإندونيسيّ عدة اجتماعات أو مشاورات وطنيّة وتوالى على رياسته عدد من الرؤساء ، بداية من الأستاذ الدكتور الحاج عبد الملك كريم أمر الله (Hamka) ثم الشيخ الحاج شكري غزالي والشيخ الحاج حسن بصري والأستاذ الشيخ الحاج علي يافي والرئيس العامّ الحاليّ الشيخ الحاج محمد سهل محفوظ . والرؤساء الثلاثة الأوّل والثاني

والثالث قد وافتهم المنيّة بعد إنجاز وظائفهم على أحسن ما يرام ، والأخيران لا يزالان يقومان بخدمة المجلس بالإشراف عليه ورياسته فهذه لمحة عامّة عن مجلس العلماء الإندونيسيّ .

اتّجاه المجلس وأدواره

وللمجلس تسعة اتجاهات خدمية، وهي :

١. اتجاه ديني : مجلس العلماء الإندونيسي هيئة خيرية تأخذ الشريعة الإسلامية وقيمها أساسا لخطواتها وأنشطتها. ذلك لأن الإسلام دين يقوم على التوحيد وله تعاليم تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية.

٢. اتجاه إرشادي : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يوجه أنشطته للدعوة والإرشاد، وهو جهود لإرشاد الناس إلى الخير وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن النكر بمعناه الواسع. وكل برامج المجلس مصمم للدعوة والإرشاد بأبعادها المختلفة.

٣. الإيجابية : مجلس العلماء جهاز خدمي إيجابي يحل المشاكل التي يواجهها الناس بشكل إيجابي، من خلال توجيههم إلى الأعمال الصالحة في إطار التنافس والتسابق في الخيرات.

٤. الحرية: مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي حيادي ومستقل وحر غير منحاز ولا متأثر بجهاز معين في اتخاذ القرارات وإبداء الرأي والنظر والاقتراحات.

٥. التعاون : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى في مناصرة الضعفاء ومساعدتهم من أجل الارتقاء بمستوى الشعب والمجتمع. وهذه العملية تقوم على أساس الأخوة بين المسلمين بأوضاعهم المختلفة.

٦. الشورى : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يؤكد على مبدأ الشورى في اتخاذ قراراته من خلال تنمية الاتجاه الديمقراطي نحو وجهات النظر التي تنمو داخل المجتمع.

٧. التسامح : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يؤكد على مبدأ التسامح والتوسط في ممارسة أنشطته مع تحقيق التوازن بين وجهات النظر المتداولة في المجتمع وفقا لتعاليم الإسلام.

٨. القدوة : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي يركز على القدوة والأسوة الحسنة من خلال تقديم المبادرات في الخيرات من أجل مصالح الأمة. وبإمكان المجلس أن يقوم بتنفيذ أنشطة ليس فيها تداخل في الأمور الفنّيّة بينه وبين الجمعيّات الإسلاميّة الأخرى .

٩. الدولية : مجلس العلماء الإندونيسي جهاز خدمي عضو في المجتمع الدولي يشترك بفاعلية في تحقيق السلام العالمي ونظام العالم العادل الموافق للشريعة الإسلامية. ولذلك فالمجلس يقيم العلاقات والتعاون مع الهيئات والمنظّمات الإسلامية الدوليّة في أنحاء العالم.

وللمجلس خمسة أدوار رئيسية، وهي :

١. ورثة الأنبياء

يقـوم المجلـس بمواصلة أدوار ومهمات الأنبياء في نشر تعاليم الإسلام وتحقيق الحياة اليومية الصـالحة على أساس الدين بحكمة، وإن كان الثمن غاليا يتمثل في الانتقادات والضغوط بل التهديدات من جهات مختلفة الموجهة إليه، ذلك لأن هذه المهمات قد تتعارض مع بعض مصالح الشعب وعاداته وثقافاته.

٢. الإفتاء

يقـوم المجلس بدور الإفتاء لقضايا المسلمين سواء طلب منه ذلك أم لم يطلب. والمجلس يرحب ويحترم وجهات نظر الشعب المسلم المتعددة ومذاهبها ومنظماتها.

٣. راع وخادم الأمة

يقـوم المجلـس راعيا وخادما للأمة في تحقيق آمالها وطموحاتها ومطالبها. وفي هذا المهام يقوم المجلس جاهدا لتلبية مطالبها في الإفتاء وتوضيح الأحكام الشرعية فيما يواجهونه من القضايا. كمـا يقف المجلس دائما في المقدمة في الدفاع عن مصالح الأمة ووجهات نظرها ذات العلاقة بالحكومة.

٤. الإصلاح والتجديد

يقوم المجلس بدور رائد في إصلاح وتنقية العقيدة وتجديد الفكر الإسلامي. وفي حالة الاختلاف في الآراء يقوم المجلس بالتوفيق بين هذه الآراء أو ترجيح ما يراه راجحا. وبذلك يرجى الحفاظ على الأخوة بين الأمة الإسلامية في أندونيسيا.

٥. القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقوم المجلس جهازا لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بتحقيق الحق وإبطال الباطل بالحكمـة والاسـتقامة. وفي هذا المهام يقف المجلس في المقدمة كقوة أخلاقيّة مع قوى الشعب الأخرى للقيام بالإصلاح الاجتماعيّ.

٢. موقفنا ومجلس العلماء الإندونيسي من أفكار الاستشراق

والآن – بعد أن اتضحت لنا بعض الشيء أبعاد المواقف الاستشراقية – لا بد لنا من الحديث عن موقفنا – نحن المسلمين من الاستشراق عامة والعلماء الإندونيسيين خاصة. وهذا يستدعينا أن نتذكر ما كان يفعله أسلافنا في مثل هذا الموقف.

لقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة – التي كانت تمثل تحديا للإسلام والفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة – كانت حافزا للمسلمين في تلك الأيام الخوالي للوقوف أمامها بقوة وصلابة. وقد كانت المواجهة على مستوى التحدي بل تفوقه. فقد هضم الفكر الإسلامي تلك التيارات هضما دقيقا واستوعبها استيعابا تاما ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبنفس الأسلحة الفكرية.

فالمواجهة – إذن– كانت مواجهة فكرية. وكأن التاريخ ألان يعيد نفسه، فالحرب الآن بين الإسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار، والمعركة معركة فكرية، ولهذه المعركة أدواقا التي يجب التسلح بها، فالخسران فبهذه المعركة أشد وطأة ،أقوى تأثيرا، وأعظم فتكا من خسارة أية معركة حربية أيا كان حجمها.

لننظر مثلا نموذجا رائدا في تاريخ الفكر الإسلامي ....انه حجة الإسلام الغزالي الذي خاض غمار معارك فكرية عديدة وخرج منها جميعا منتصرا، فماذا كان يفعل ؟ يقول الغز إلى في كتابه (المنقذ من الضلال) : " انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلمهم من أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع ما لم يطلع عليه صاحب العلم وإذ ذاك يمكن ما يدعيه من فساده حقا".

وقياسا على ما يقوله الغزالى نجد أن استيعاب الإنتاج الاستشراق حول الإسلام ودراسته عميقة هو الخطوة الأولى لنقده نقدا صحيحا واثبات ما يتضمنه من هافت أو زيف، الأمر الذي يجعل المستشرقين والعلمانيين يفكرون ألف مرة قبل أن يكتبوا تحسبا لما قد يواجههم من نقد علمي يعريهم ويثبت زيف ادعاهم.

ويؤكد هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون حين يشير إلى أن هناك طريقا واحدا فقط لنقد المستشرقين. وهذا الطريق يسير عبر دراسة تفصيلية لمؤلفاهم، ويجب أن يرتبط لنقد نقدنا لإنتاج المستشرقين بنقد ذاتي حقيقي بصفة مستمرة ، يجب أن نواجه أنفسنا مواجهة

حقيقية بعيوبنا وتقصيرنا وقصورنا، وأن نكون على وعي حقيقي بالمشكلات التي تواجهنا في هذا العالم المعاصر.

وقد يتمثل الجانب الإيجابي للاستشراق في صورة الهجوم علينا وعلى أمجادنا وليس في صورة المدح، وكلنا نعلم أن هناك عددا لا بأس به من المستشرقين قد مدحوا حضارتنا في مؤلفاتهم وأثنوا على علمائنا ومجدوا تراثنا. ولكن جانب المدح والثناء قد يكون له تأثير تخديري علينا، فيجعلنا نغمض عيوننا مستسلمين لتلك الأحلام السعيدة التي تذكرنا بالعز الذي كان، ونركن إلى ذلك ونعيش على صيت أبائنا وأجدادنا، ونظن أن آبائنا عظماء لآن أجدادنا كانوا عظماء.

ومن هنا نقول أن الجانب الهجومي التنفيذي الاستفزازي في إنتاج المستشرقين قد يكون لنا خيرا من جانب المدح تأكيدا للمثل المعروف " رب ضارة نافعة " فقد يكون هذا الاستفزاز حافزا لنا لنخرج من حالة الركود الفكري التي وصلنا إليها لننطلق من جديد ونعيد ترتيب صرح ثقافتنا، وبذلك نقبل التحدي ونستجيب له فننهض من كبوتنا.

وهذا الرد ليس مجرد استنفاد الطاقات في رد الهجوم وترقب الطعنات للرد عليها، وإنما هو الرد الفعال الذي ينتقل إلى الموقف الأقوى. فلا يجوز أن نقف دائما موقف المعتدى عليه، فالمعتدى عليه غالبا ما يكون ضعيفا. ولهذا لابد من أن نغير وضعن، وذلك لن يكون إلا بتغير أفكارنا، فنحن لنا لسنا متخلفين لقلة أشيائنا، ولكن تخلفنا لقلة أفكارنا وتبدد وجوهنا، ولن تتغير أحوالنا إلا بتغيير ما في نفوسنا : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم)

ولابد لنا من أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته و ينهض من عجزها ويلقى من على كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري – يومها سيجد الاستشراق نفسهما في أزمة. ولكي نكون أكثر وضوحا وأكثر تحديدا في تصوير ما ينبغي علينا أن نقوم به لمواجهة الاستشراق نذكر فيما يلي بعض النقاط التي نعتقد أنها أمور أساسية في هذا المجال.

١. علينا أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية ، ونأخذ في حسابنا أن لها أثارا عظيمة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي. ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. وليس يكفي أن نقول إن ما يكتبونه كلام فارغ، فهذا الكلام

الفارغ مكتوب بشتى اللغات الحية ومنتشر انتشارا واسعا على مستوى عالمي، ومواجهته لابد أن تكون على نفس المستوى العالمي.

٢. بدلا من أن نظل نقتات فكريا من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بأعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية والتي تجاوزوها ويقومون منذ سنوات بإصدار معارف إسلامية جديدة – علينا أن نقوم نحن المسلمين بإصدار معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأوربية الرئيسية تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين تخطيطا وتنظيما وتتفوق عليها علميا، وتنقل وجهة النظر الإسلامية في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء.

فكل فراغ فكري لدينا لانشغاله بأفكار من عندنا يكون عرضة للاستجابة لأفكار منافية وربما معادية لأفكارنا، فلا لنومن عندئذ إلا من عند أنفسنا.

٣. علينا أن نوحد جهودنا في العالم الإسلامي لإقامة مؤسسة إسلامية علمية عالمية لانتمى بالولاء إلى بلد إسلامي معين ولا لمذهب سياسي أو فكري أو ديني معين، بل يكون ولاؤها الأول والأخير لله وحده ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتستطيع اقتضاب الكفاءات العلمية الإسلامية في شتى أنحاء العالم، وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية والعلمانية ويكون لها دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع تنتشر بحوثها بلغات مختلفة، وتعمل على استعادة أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار، فهذا هو الطريق الصحيح إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي، إذ أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه –على أية حال – أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه .

والأمر الذي يؤسف له حقا هو أننا على امتداد العالم الإسلامي بسكانه الذين تجاوزوا الآلف مليون وبكل مالنا من إمكانات هائلة لا نملك مؤسسة علمية دولية لها نفس الإمكانات العلمية والمادية التي تملكها المؤسسة الاستشراقية. أليس هذا من الأمور التي تدعو إلى الأسى والحسرة ؟

٤. لابد أن تكون لنا مؤسسة تبشيرية عالمية ، وأعنى بذلك جهازا للدعوة الإسلامية في الخارج يدعو للإسلام – من ناحية – ويرعى المسلمون الجدد – من ناحية ثانية – ويحمى المسلمين بالوراثة – من ناحية ثالثة.

ولابد من إصدار كتب إسلامية باللغات العالمية الحية تصحح لتصورات الخاطئة عن الإسلام في الأذهان وتعرض الإسلام بأسلوب علمي يتناسب مع العقلية المعاصرة ، وتقدم الحلول الإسلامية لمشكلات المسلمين العصرية.

٥. لابد من إعداد ترجمة مقبولة لمعاني القرآن باللغات الحية نسد بها الطريق على عشرات الترجمات المنتشرة الآن بشتى اللغات والتي قام بإعدادها المستشرقون وصدورها في غالب الأحيان بمقدمات مملوءة بالطعن على الإسلام . ولابد أيضا من اختيار مجموعة كافية ومناسبة من الأحاديث النبوية الصحيحة وترجمتها أيضا لتكون مع ترجمة معاني القرآن الكريم في متناول المسلمين غير الناطقين بالعربية وفي متناول غير المسلمين الذين يريدون فهم الإسلام من منابعه الأصلية.

٦. العمل عل تنقية التراث الإسلامي حتى يكون غذاء فكريا صالحا للمسلم. فتراثنا فيه اغث وفيه السمين. ومع أن الإسلام لا يتحمل وزر الخرافات والأوهام والإسرائيليات التي تشتمل عليها بعض كتب التراث لدينا، فان المستشرقين يستخدمون هذا التراث بكل ما فيه.

٧.محاولة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية في الخارج عن طريق الاتفاقات الثقافية التي تعقد بين بلدان العالم الإسلامي ودول أوربا وأمريكا، وذلك بإرسال أساتذة أكفاء من الأقطار الإسلامية إلى معاقل الاستشراق للتدريس فيها. وبذلك يمكن بالتدريج تصحيح التصورات الأوربية عن الإسلام بالعمل العلمي الدءوب وليس عن طريق الشعارات فقط. وأعتقد أن هناك الآن جامعات في أوربا وأمريكا لديها الاستعداد للاستجابة ذلك.[١٢]

وقد رد العلماء الأندونيسيون والمجلس الأعلى للدعوة الإسلامية ومجلس العلماء الأندونيسي وألف بعضهم الكتب لترد وتنقد أفكار الاستشراق السابقة ، فهي كما تلي :

١. التحريف في آيات الميراث

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وعودقم إلى عزهم ومجدهم وماضي قوقم وحضارقم ...لذا فهم يعملون جهدهم لتحريف معاني وتفسير آياته إن كان في مقدورهم واستطاعتهم .

يرفض وزير الدينية السابق منور شذالى آيات الميراث يرفض حكم ا لله في قوله تعالى : يوصيكم ا لله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء ١١) ويقول : هذا حكم انتهى وقته، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادي. أما المرأة الآن وقد تعلمت وعملت فما عاد هذا الحكم قائما !

يمكن أن نقول أنّ الله يقول: يوصيكم ا لله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء ١١) ويقول في أخر الآية : فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما. ولذلك يسمى علم الميراث: علم الفرائض . ويقول في الآية الثانية : وصية من الله والله عليم حكيم. النساء ١٢

ويقول في الآية الثالثة : تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين. النسا ١٣

ولكن هذا الشيخ العجوز يقول : هذا حكم انتهى ! يجب إذن أن نغير أحكام الشريعة، فليس الأمر كما قال الله تعالى : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . النساء ٣٤

الرجل مطالب أن ينفق على الأسرة، وأن يدفع مهرا للمرأة:وأتوا النساء صدقاقمن نحلة . النساء ٤

ليس الرجال إذن مطالبا أن يدفع صدقة أو مهرا للمرأة، وليس مطالبا أن يكون مسئولا عن الأسرة ، يجب أن نلغي هذه الأحكام كلها!

٢. التحريف فى تفسير معنى أهل الكتاب

قد اختلف علماء الإسلام فى تزوج المسلم بالكتابية : ذات الدين السماوى والكتاب الإلهي . فمنهم من أباحه مستندا فى ذلك الى ظاهر قوله تعالى: (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) قالوا : فرقت هذه الآية بين المشركة التى حرم التزوج بها قوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وبيم الكتابية ، فأباحت التزوج بها .

ومنهم من طرد المنع ورأى حرمة التزوج بالكتابية شأنها شأن المشركة ، ونسب ذلك الرأي إلى عبد ا لله بن عمر رضى ا لله عنهما وبعض التابعين ، وحجتهم فى ذلك أن الكتابية إذا غيرت وبدلت وأنكرت رسالة محمد عليه السلام كانت داخلة تحت عنوان" المشركات" وإيمانها بالله فقط لا يخرجها عن دائرة الشرك ، فان ا لله يقول: (وما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون) ويستندون أيضا فى هذا المنع إلى الآيات الدالة على وجوب المباعدة عن الكفر كقوله تعالى : (يأيها الذين ءا منوا لا تتخذا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض)

وقد عمم نور خالص ماجد المتوفى سنة ٢٠٠٥ هو من أحد رؤساء العلمانيين بأندونيسيا، أن أهل الكتاب لا ينحصر على اليهودية والنصرانية فقط بل تشمل الصينية والمجوسية والهندوكية والبوذيه ، وأباح المسلم أن يتزوج بها ويتوارث بينهما.ورد ا لله تعالى بقوله (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولآمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بأذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة ٢٢١ وهذا الرأي يتناقض بقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه متفق عليه : (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)

٣.التحريف فى تفسير معنى الحجاب

الحجاب مفروض فى محكم القرآن حيث يقول عز وجل فى سورة النور :(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن)

الخمار هو غطاء الرأس ، فلابد للمسلمة أن تغطي بخمارها على جيبها أى على فتحة الصدر ، فقد كانت نساء الجاهلية يبدين هذا النحر وهذا الصدر لتظهر فيه القلائد والزينة وغير ذلك .

فجاء الإسلام يأمر بضرب الخمار على الجيوب : (وليضربن على بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبائهن أو أباء بعولتهن) ، وذلك فى الزينة الباطنة ، (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبو الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

وجاء فى سورة الأحزاب : (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان ا لله غفورا رحيما)

ولكن للأسف – قد فسر نور خالص ماجد المتوفى سنة ٢٠٠٥ هو من أحد رؤساء العلمانيين بأندونيسيا، يقول : الحجاب هو ثوب كبيرو رمز ديني ، ولذا لا علاقة بين الحجاب والشريعة .

هذا ليس بصحيح ، الحجاب ليس رمزا دينيا ، الرمز ما ليس له وظيفة إلا انه شعار وإعلان مثل : الصليب عل صدر النصرانى ، ونجمة داود السداسية عل صدر اليهودى . ولكن هذا الحجاب له وظيفة ، وهو وظيفة الستر وهذا أمر من الله للمسلمة .

٤. ترفض جمعية تحرير المرأة بأندونيسيا تعدد الزوجات لأنها اهانة واستهزاء وظلم للنساء وهذا حكم بطل زمانه ؟! ألله تعالى يقول :(فانكحوا ما طاب لكم النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء ٣

أجاء القرآن لزمن دون زمن ولعصر دون عصر ؟! (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) البقرة ٨٥

إذا كان هوى الإنسان هو الذى يحكم ا لله وعلى كتابه ، انتهت الشريعة ، وانتهت العقيدة ، وانتهى الدين . الدين جاء حاكما لا محكوما جاء يقودنا لنتبعه لا ليتبعنا هو.

إذا أصبح الدين تابعا لنا ولأهواءنا و لآرائنا ، معناه أن الدين لم يعد حكما نرجع إليه إذا اختلفنا ، ونعود إليه إذا انحرفنا.

كانت هذه القضية موجودة فى الأمم .فجاء القرآن ووضع قيدا وشرطا : القيد أنه لا زيادة على الأربع (مثنى وثلاث ورباع) والشرط هو العدل ، أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء ٣ ثم قال فى نفس السورة (ولن تستطيعوا العدل أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) النساء ١٢٩فكأن القرآن حلل فى الآية الأولى وحرم فى الآية الأخرى. أهذا يفعله عاقل ؟ أيهدم القرآن ما بناه فى سورة واحدة ؟ هذا لا يفعله العاقل فكيف بأحكم الحاكمين؟.

٦. يرد العلماء مذهب أفكار الليبرالية والتعددية فى الأديان والعلمانية ، لآن مذهب أفكار الليبرالية يفسر القرآن بالرأي الحر و يقبل النصوص التى تناسب العقل فقط ، والتعددية فى الدين ترى أن كل الأديان سواء ويدخل الجنة كل معتنقيها والدين عندهم نسبي .

ورد الله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) أل عمران ٨٥ . وقال فى أية أخرى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص ا لله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الأحزاب ٣٦

٧. يرفض العلماء الدعاء الجماعى بين مختلف الأديان والتهنئة لعيد الميلاد المسيح للنصرانى لقول الله تعالى : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أئله مع ا لله قليلا ما تذكرون) النمل ٦٢، وفى آية أخرى (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) غافر ٦٠ ورد العلماء عن حرام التهنئة لعيد الميلاد المسيح للنصرانى لقول الله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا ا له واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)المائدة ٧٣

٨. يرد العلماء عن كون الرأة إماما فى الصلاة ، لقول الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء فضل الله بعضهم على بعض ...) النساء٣٤ وأن رسول الله صلى ا لله عليه وسلم أمر أم ورقة أن تؤم نساء أهل دارها (رواه الدارقطنى) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لاتؤمن امرأة رجلا) رواه ابن ماجه

٩. قد رد العلماء عن وجود فرقة الأحمدية لأنها ضالة مضلة التى تصدق بنبوة مرزا غلام أحمد ، لقول الله تعالى : (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان ا لله بكل شيئ عليما) الأحزاب ٤٠وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لانبي بعدى)رواه البخارى

أما موقف مجلس العلماء الإندونيسي خاصة ، قد عقد المشاورة الوطنية السابعة التي قام باختتامها الجمعة في السابع من ديسمبر ٢٠٠٥ نائب رئيس الجمهورية يوسف كلا، أصدرت عدة فتاوى وعددا من التوصيات لتكون إسهاما من المجلس لتقدم المجتمع الإسلامي و الشعب والدولة.

وهذه الفتاوى التحريمية التي أصدرتها المشاورة الوطنية السابعة لمجلس العلماء الإندونيسي، منها :

١. النكاح بين مختلف الأديان.

٢. برامج تليفزيونية تبث العرافة والمغيبات، قال معروف : البرامج الكثيرة في التلفاز عن أعرافة والشياطين من جملة المحرمات لأنها تضل الآمة .

٣. التوارث بين مختلفي الأديان .

٤. كون المرأة إماما في الصلاة.

٥. الأحمدية . قال معروف : إن الأحمدية فرقة ضالة فهي محظورة ممنوعة لأنها تنشر الضلال وتضل أتباعها، ولذلك نطلب من الحكومية أن توقف وتحظر وجود فرقة الأحمدية في جميع أنحاء أندونيسيا، بل يعتبر أتباع الأحمدية خارجين عن الإسلام.

٦. الليبرالية والاستشراقية والعلمانية والتعددية في الأديان محرمة، قال معروف : إن مجلس العلماء الإندونيسي لا يوافق عليها، ولكن لأن الوقت لم يعد يتسع لتداول البحث فيها تدخل في توصيات المجلس للمشاورة الوطنية القادمة.

٧. الدعاء الجماعي بين معتنقي الأديان المختلفة ، قال معروف : انه غير معهود في الإسلام فيعتبر بدعة مردودة وحرام .

لأنه يحرم التأمين على دعاء معتنقي الأديان غير الإسلام، كما يحرم الدعاء جماعيا، ولكن يباح إذا دعا كل واحد على حسب دينه.

خاتمة البحث

لقد حاولنا بما عرضناه على مسامعكم في هذه المحاضرة من نقاط أن نكون منصفين لأنفسنا ولغيرنا، ،أن نكون موضوعيين نرى الأسود أسود، والأبيض أبيض، حتى لا تختلط علينا الرؤية فنخطئ الطريق الصحيح إلى فهم أبعاد المشكلة.

وليس ما قلناه عن الإسلام والاستشراق والعلمانية هو نهاية المطاف. وإنما هي مجرد ملاحظات نقصد من ورائها الدعوة إلى التأمل والتفكير في أبعاد هذه المشكلة المطروحة.

وأرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب.والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المراجع

(١) البهى محمد (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي).الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٧م.

(٢) حسان مصطفى السباعى (الاستشراق والمستشرقون) الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) حمدى محمود زقزوق (هموم الأمة الإسلامية) الطبعة الأولى، دار الرشاد ١٩٩٨م.

(٤) عمارة محمد عمارة (العلمانية بين الغرب والإسلام)الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٥) مجموع الفتاوى من مجلس العلماء الإندونيسي.

(٦) مجموع فتاوى مجلس العلماء الإندونيسي.

(٧) صوت المسلمين.

الهوامش:

١-مقالة تكتب بمناسبة الندوة الإسلامية العالمية قامت بها جامعة المنيا مصر ورابطة العالم الإسلامي مارس ٢٠٠٦ .

٢-رمضانى : مدرس قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب والفنون جامعة جاكرتا الحكومية أندونيسيا.

٣-انظـــر: دكـــتور محمود حمدي زقزق (هموم الآمة الإسلامية) ص ١٤٧،الطبعة الأولى، دار الرشاد ١٩٩٨م.

٤-المرجع السابق / ١٤٨.

٥-المرجع السابق / ١٥٥.

٦- انظـــر: دكـــتور محمد البهي (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٧م، ص ٤٣.

٧-انظر : دكتور محمد عمارة (العلمانية بين الغرب والإسلام) الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ١٠.

٨-المرجع السابق، ص ١١.

٩-انظر : حسان مصطفى السباعي (الاستشراق والمستشرقون) الطبعة الثانية ١٩٧٩م المكتب الإسلامي بيروت. ص ١٥-١٩.

١٠-المرجع السابق / ص ٢٠ - ٢٤.

١١-مجموع فتاوى مجلس العلماء الإندونيسي : جاكرتا ٢٠٠٥ ، ص ٢.

١٢- صوت المسلم : جاكرتا ٢٠٠٥ ص ٢٠.